

منبر الجمعة
مجموعة خطب مختارة
المجموعة الرابعة
تأليف
عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر
مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com



دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

توحيد الأسماء والصفات

الحمد لله عالم السر والنجوى، والمطلع على الضمائر وكل ما يخفى، يعلمن خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه، وعد المخلصين الدرجات العلى، وحذر المشركين به نارًا تلظَّى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، المتفردُ بالكمال في ذاته وأسمائه وصفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكملُ الخلق توحيدًا وأبرُهم عملاً وأتقاهم لله رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى أيها الناسُ وأطيعوه وأخلصوا له العبادةَ ووحدوه، واعلموا أن أفضلَ ما وعظَ به الواعظون وذكَّر به المذكِّرون معرفة الله تعالى بأنه ربُّ العالمين الرحمنُ الرحيم المالكُ المتصرفُ ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وأن جميعَ الكون وكلَّ ما فيه خَلْقُه ومُلْكه وعبيده وتحتَ ربوبيَّته وتصرُّفه وقهره.

عباد الله: لقد أخبر ﷺ - وخبرهُ صدقٌ — عن افتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقةً كلهم ضُلَّالٌ إلا فرقةٌ واحدة هي التي وافقت هديَ الكتابِ والسنة وسارت على نهج المصطفى ﷺ ونهج أصحابه من بعده، وإن هذا الافتراقَ شاملٌ لكل أمور الدين والعبادة، ولكن إطلاقه يبادرُ إلى ذهن قائله وسامعه التفرقَ في باب التوحيدِ والاعتقادِ، فأهلُ الزيغ والضلال في باب الاعتقاد طوائفُ شتى

وفرقٌ عديدة كل فرقةٍ فرحة بما عندها.

أما أهلُ السنة والجماعة الذين ساروا على النهج، فإنهم على خط مستقيم في هذا الأمر، بل وفي جميع أمورهم، ولكن في باب العقيدة والتوحيد يخصونه بمزيد اهتمام ومزيد عناية؛ لأن الضلالَ فيه ضلالٌ كبير ليس كالضلال في غيره، والخطأ فيه عظيمٌ، الخطأ في العقيدة ليس كالخطأ فيما دونها؛ لأن من أخطأ في التوحيد والاعتقاد يُخشى عليه من الكفرِ والانحراف الشديد والضلالِ البعيد.

عباد الله: الله سبحانه هو المستحقُّ للعبادة دون ما سواه، والجن والإنس ما خُلقوا إلا لعبادته سبحانه، والعبادةُ هي منتهى الذُّلِّ مع منتهى المحبة، فهي حقيقةٌ جامعة لما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال القلبية والحسيَّة البدنية الظاهرة والباطنة.

عباد الله: التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا القسم الثالث لابد للموحِّد منه، فمنزلته في الدين عاليةٌ وأهميته عظيمة، ولا يُمكن لأحدٍ أن يعبدَ الله على الوجه الأكمل حتى يكونَ على علم بأسماء الله وصفاته، ليعبدَه على بصيرة.

توحيد الأسماء والصفات زلَّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام، وتحيَّرتْ فيه عقولٌ، ولكن الله هدى مَنْ شاء من عباده إلى توحيده بأسمائه وصفاته حين ساروا على منهج القرآن والسنة.

فمما ينبغي أن يعلَمه كلُّ موحدٍ في هذا الباب أن الله سبحانه

سمَّى نفسه بأسماءَ وسمَّاه رسوله بها، ونفى عن نفسه أسماءَ ونفاها عنه رسول الله ﷺ؛ فيجب علينا أن نُثبت ما أثبته وأن ننفي ما نفاه.

ومما ينبغي أن نعرفَه أن كلَّ أسماءِ الله وصفاته حُسنى لا نقصَ فيها، بل إنها بلغت في الحسن غايتَه، وفي الكمال منتهاه، وفي الجمال أقصاه وأعلاه، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فالعليم اسم لله تعالى، وقد اقتضى العلمَ الكاملَ الذي لم يُسبق بجهل ولا يَلحقه نسيان ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، العلمُ الواسعُ المحيط بكل شيء ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

عباد الله: إن مما ينبغي أن يُعلم علمَ يقين لا شك فيه أن أسماء الله وصفاته مجالُها مقصورٌ على الكتاب والسنة، فليس لأحد أن يصفَ اللهَ بصفة لم تَرِدْ عنه ولا عن رسوله، بل يجب الوقوف على ما في الكتاب والسنة لا يُزاد فيه ولا يُنقص؛ لأن العقل لا يُمكنه إدراكُ ما يستحقه تعالى من الأسماء، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وأكثرُ من زلَّت أقدامهم في هذا الباب أربابُ البيان والأدب حينما انساقوا خلفَ فلسفتهم وبلاغاتهم.

أيها الأخوة: إذا ما أثبت الإنسان هذا، فليعلمْ أن أسماءَ الله لا عددَ لها ولا حصر، يقول ﷺ: «**أسألُك بكل اسمٍ هو لك، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقــك، أو استأثرت به في عِلم الغيب عنــدك**» رواه أحمــد وابــن حبــان والحاكم. فما استأثر الله بعلمه لا يستطيعُ أحدٌ معرفته.

فإذا ما أثبت المسلم هذه الأمور لله سبحانه فلا يَجوز له الميــلُ عنها ولا الإلحادُ فيها، يقول الله سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فالله سبحانه أوضح في هــذه الآيــة أربعةَ أمور: أن له أسماءَ، وأنها حُسنى، وأمرنا أن ندعوه ونتعبده بها، ونهانا عن الإلحاد فيها. والإلحادُ عباد الله في أسماء الله: هو الميل بها عما دلَّت عليه بتحريفِها وتأويلِها إلى ما تحتمله، كما تَفعله كــثيرٌ من فرق الضلال. والله سبحانه يقول: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُــوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]، ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَــالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٧٤]. فلا نَتَدخل بعقولنــا، ولا نُؤول بأفهامنا ومداركنا ولا نحكم على الله سبحانه وتعالى، لا نُمثله بخلقه، ولا نُكيف صفته، كما أننا لا نُعطلها عن معناها، ولا نُسميه بما لم يُسمِّ به نفسه كما فعلت النصارى، ولا نشــتق مــن أسمائه أسماء للأصنام كما فعلت قريش حين اشتقت العُــزَّى مــن العزيز.

هذا هو الإلحاد الذي نهانا الله عنه في أسمائه وصفاته: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَــا**

بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٥-٨].

هذه عباد الله مُجمل الاعتقاد في أسماء الله وصفاته، اللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة. أقول قولي هذا. وأستغفر الله.

❋ ❋

الخطبة الثانية

من توحيد الأسماء والصفات

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وما كان معه من إله، لا إله إلا هو، ولا خالق غيره، ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]. أحمده سبحانه، وأشكره وأثني عليه، وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن الناس يَتفاضلون في أمور الدنيا حسبَ معرفتهم لها،

وكذلك التفاضلُ الحقيقي إنما يكون بحسب معرفة الله تعالى ومحبته، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته هي جِماع السعادة في الدنيا والآخرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أصلُ التفاضـــل بـــين الناس إنما هو بمعرفة الله ومحبته، وإذا كانوا يتفاضلون فيما يعرفونـــه من المعروفات، فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم، بل إن كانوا يتفاضلون في معرفة أي شيء من أمور الدنيا أو أمـــورِ الآخرة، فتفاضلهم في معرفة الله تعالى أعظمُ وأعظم، إن كـــل مـــا يُعلم ويُقال يدخل في معرفة الله تعالى، إذ لا موجود إلا وهو خَلَقه، وكل ما في المخلوقات من الصفات والأسماء والأقـــدار شـــواهدٌ ودلائلٌ على ما لله سبحانه من الأسماء الحسنى والصـــفات العُلـــى، وكل كمال في المخلوقات من أثر كماله، وكل كمال ثبتَ لمخلوق فالله أحق به، وكل نقص تَنزه عنه مخلوقٌ فالخالق أحق بتنزيهه عنه، لقد ثبت في الحديث الشريف: أن لله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، وأسماءُ الله متضمنةٌ لصفاته، وليست أسماءً محضةً، وإذا كـــان من أسمائه ما اختُصَّ هو بمعرفته، ومن أسمائه ما خص به مَنْ شاء من عباده، عُلم أن تفاضلَ الناس في معرفته أعظمُ من تفاضلهم في معرفة كل ما يعرفونه.اهـــ.

عباد الله: جاء في «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قـــال: «**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا، من أحصـــاها دخـــلَ الجنة**». وهذا الحديث لا يحدد عددًا، ولكنه يُنبه الناس إلى أمر مُهم؛ وهو أن إحصاءَها هو معرفة لفظها ومعناها، وأن يُتعبدَ الله بما دلت عليه وما تقتضيه، فإن مما يُعين على العبادة معرفة أسماء الله وصفاته.

فمن أسمائه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فكل ما نحن فيه من نعمة فهو من آثار رحمته تعالى، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]. فهل استشعر المؤمنُ هذه المعاني عند سماعه لهذا الاسم؟

ومن أسمائه: ﴿الْعَلِيمُ﴾، الذي أحاط علمه بكل شيءٍ من ماضٍ وآتٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومتحركٍ وساكنٍ وجليلٍ وحقيرٍ، فهل استشعر هذا المعنى من أقدم على معصية الله سبحانه؟

ومن أسمائه: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، يسمع كل شيء، ويرى كل شيء، ولا يخفى عليه دبيبُ نملة سوداءَ في ليلة مظلمة تسير على صخرة صماءَ، إن جَهرتَ بقولك سمعه، وإن أسررتَ به لصاحبك سمعه، وإن أخفيته في نفسك سمعه، بل إنه سبحانه يعلم ما توسوس به نفسك وإن لم تنطق به.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، لا تخفى عليه خافية، حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم.

عباد الله: معرفة الله بأسمائه وصفاته هي أساسُ الإيمان به والتصديق برسله وما أُرسلوا به.

معرفة الله بأسمائه وصفاته تُورث السكينة والرضا، وتُبعد العبد عن السخط والغضب.

العارف بالله من أطيب الناس عيشًا، معرفة الله تورث معيته

سبحانه، معرفة الله بأسمائه وصفاته سراجٌ ينير الطريق ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢]، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

من عرف الله خافه وحَذِرَ من بطشه، ومن عرف الله علم بقُرب نصره لعباده وانتقامه من الظالم «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**».

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...



الغُسل من الجنابة

الحمد لله الذي جعل العلم وأهله في أعلى الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يستحي من الحق، سبحانه وبحمده، لا أُحصي ثناءً عليه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المعلمُ الناصح والمرشد لأمته، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين كانوا مشعل خير للأمة جمعاء، رضي الله عنهم وأرضاهم.

أما بعد:

فاعلموا أيها الناس أن التقوى مِفتاح كل خير، والعلم عباد الله خيرُ صفة يتصف بها المسلم، ومفتاح العلم التقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أيها الناس: الحياءُ صفة عالية، وخِصلة رفيعةٌ؛ تدعوا إلى تـرك القبيح وفعل المحمود، والحياء خير كله، ولا يأتي الحياء إلا بخير.

إلا أن الحياء قسمان: قسمٌ محمود، وهو الحياء الشرعي الذي جاء الحث عليه والأمرُ بالتحلي به.

وحياء مذموم، وهو الحياء اللغوي، الذي هو المانع من قـولِ الحق، والمانعُ من تعلُّم العلم حياءً من الناس.

جاءت أم سليم رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تسأله فقالت: **إن الله لا يستحيي من الحق**، وقال مجاهد: لا يَتعلم العلمَ مُستحٍ ولا مُستكبر.

عباد الله: إن الواجبَ على الناس جميعًا أن يتعلموا، وألا يكون الحياءَ مانعًا لهم عن التعلم أو السؤال، وأولى ما يتعلمه المرءُ أن يتعلم كيف يَعبد ربه، إذ هذا هو العلمُ الذي يعودُ نفعه إلى الإنسان، فبه يُقيم شعائر دينه على منهاج الهدي النبوي.

ولقد كان الناسُ – ولا زالوا – يخجلون من التحدُّث عن أمور من العبادات هي من أخصِ أمورهم، وإذا كان المتعلم يسكت حياءً والناس لا يسألون، فمتى يتعلم الجاهلُ؟

عباد الله: عبادة من العبادات يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة، عبادة خَفية غير ظاهرة للناس، أُمِرَ فاعلها بالتستر عن الملأ حال فعلها، عبادةٌ مُشتقة من النظافة بل هي النظافة بعينها.

أعظمُ ما في هذه العبادة أنها أمانةٌ ائتُمن الله عليها الناس، روى أبو الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**خمسٌ من جاء بهن مع إيمانٍ دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوءهن وركوعهن وسجودهن، ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبةً بها نفسه، وأدَّى الأمانة**».

قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداءُ الأمانة؟ قال: الغُسلُ من الجنابة. رواه أبو داود، وفي رواية للطبراني يقول النبي ﷺ: «**إن الله لم يَأمن بني آدم على شيءٍ من دينه غيرها**». [قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: إسناده جيد].

عباد الله: الغُسل من الجنابة شعيرةٌ عظيمة، وعبادة جليلة، ما

ترك الرسول ﷺ فيه شيئًا إلا وبيَّنه، فكما أن المُحدث حدثًا أصغرَ لا تُباح له الصلاة إلا بالوضوء، فكذلك من أصابه حدثٌ أكبرَ لا يُتاح له الصلاة وغيرها من العبادات إلا بعد الغسل.
* إذا مسَّ الختانُ الختانَ فقد وجبَ الغُسل. روى مسلم في «صحيحه» عن أبي موسى رضي الله عنه أن المهاجرين والأنصار اختلفوا فيما يُوجب الغسل، فقال أبو موسى: أنا أشفيكم من ذلك، قال: فقمت فاستأذنت على عائشة فأُذِنَ لي فقلت لها: يا أمَّ المؤمنين: إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أستحييك؟ فقالت: لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمَّك التي ولدتك، فإنما أنا أمُّك، قلت: فما يُوجب الغُسل؟ قالت: على الخبير سقطتَ، قال رسول الله ﷺ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع وجاوزا الختانُ الختانَ، فقد وجبَ الغسلُ**».

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وعائشة جالسةً عنده فقال: يا رسول الله، الرجل يُجامع أهله ثم يَكْسُل ولا يُنزِلُ هل عليهما الغُسلُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نَغتسل» رواه مسلم.

أما إذا كان الخارج مَذيًا، فلا يجب الغسل، وإنما الواجب الوضوء، يقول علي رضي الله عنه في الحديث الصحيح: **كنت رجلاً مَذَّاءً فاستحييتُ أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته مني، فأمرتُ المقداد فسأل رسول الله ﷺ فقال: «اغسل ذكرك وتوضأ»**.

عباد الله: الإنسان ذكرًا كان أو أنثى – متى يستيقظ من نومه فيجد في ثوبه بَللاً فيجب عليه الغسل، **جاءت أم سُليم إلى رسول**

الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غُسل إذا هي احتملت؟ قال: «نعم، إذا رأت الماءَ»، فغطَّت أم سلمة وجهها وقالت: فضحكت النساءُ، أو تحتلمُ المرأة؟ فقال رسول الله: «تَرِبتَ يداك فبم يُشبهها الولد» رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

أيها الناس: الغُسل من الجنابة عبادة، وكل عبادةٍ ليست على وفق هدي رسول الله ﷺ، فهي غيرُ صالحة، تقول عائشة رضي الله عنها في الحديث المتفق عليه: **كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه ثلاثًا وتوضأ وضوءَه للصلاة، ثم يُخلل شعره بيديه حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته،أفاض عليه الماء ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده».**

هذه – عباد الله – صفة الغسل الكامل التي وردت عن المصطفى ﷺ.

ويجزئ الإنسان من ذلك أن يَعُمَّ جميعَ بدنه الماء، ولا يترك منه شيئًا.

ومما يجب على المغتسل: أن يتمضمضَ ويستنشقَ حال غسله كما نصت عليه كثير من الأحاديث، وكما هو الراجح من أقوال أهل العلم.

والواجبُ على المغتسل أن يعم شعره بالماء حتى إذا ظن أنه قد أصاب جميعه انتقل إلى ما بعده من الأعضاء كما ورد بذلك الحديث.

عباد الله: «**كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يغتسل بدأ فغسل كفيه ثلاثًا**». رواه البخاري ومسلم. وكان يتوضأ قبل غُسله ليكون تشريفًا لأعضاء الوضوء أن يبدأ بها.

إخوة الإسلام: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان نبي الله موسى يغتسل وحده، والمسلم مأمور بالستر والخفاء حالَ ظهور عورته. روى أبو داود والنسائي عن يعلى بن شداد أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن الله حييٌ سِتِّيرٌ يُحب الحياءَ والستر، فإذا اغتسلَ أحدكم فليستترْ**». وتقول أم هانئ رضي الله عنها:« **ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمةُ ابنته تَسترهُ بثوب**». رواه مسلم.

وقال أحد الصحابة: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذرُ، قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**». **قلت: يا رسول الله، أحدنا إذا كان خاليًا؟ قال:** «**الله أحقُّ أن يُستحيي منه من الناس**» رواه أصحاب السنن، وحسَّنه الترمذي، وصححه الحاكم.

ولقد كان ﷺ يغتسل هو وزوجته جميعًا من إناء واحد. تقول عائشة رضي الله عنها: «**كنت أغتسلُ أنا ورسول الله ﷺ من إناءٍ واحدٍ، تختلف أيدينا فيه، فيبادرني حتى أقول: دع لي دع لي**» رواه البخاري ومسلم.

عباد الله: الجُنُبُ كغيره من الناس، لا يَحرم عليه إلا ما ورد الدليل بتحريمه، ومن ذلك: قراءة القرآن، إذ يقول علي ﷺ: «**كان**

رسول الله ﷺ يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جُنُبًا» رواه الترمذي والنسائي.

وإذا أراد الجنبُ أن ينام أو يأكل فعليه أن يتوضأ، كما أرشد إلى ذلك رسول الله ﷺ. تقول عائشة رضي الله عنها: «**كان رسولُ الله ﷺ إذا كان جُنُبًا وأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءَه للصلاة**» رواه مسلم.

وإذا كان الإنسان جنبًا فلا عليه أن يخالطَ الناس ويحادثهم، يقول أبو هريرة ﷺ: « **لقيني رسول الله ﷺ وأنا جُنُبٌ فأخذ بيدي فمشيتُ معه حتى قعد، فانسللت منه، فأتيت الرَّحْلَ فاغتسلت، ثم جئتُ وهو قاعد، فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ فقلت: كنت جُنُبًا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال ﷺ: «سبحان الله، إن المؤمن لا يَنْجُسُ**» رواه البخاري.

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:« **ربما اغتسل رسول الله ﷺ من الجنابة ثم جاء فاستدفأَ بي فضممته إليَّ وأنا لم أغتسل**» رواه الترمذي وابن ماجه.

عباد الله: كان الناس في حرجٍ شديدٍ ومشقةٍ بالغةٍ حتى نزل قول الله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وإن الغُسل من الجنابة من تلك الأمور الخفيَّة التي كثيرًا ما ينساها الناس؛ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «**أُقِيمت الصلاةُ وعُدِّلت الصفوفُ قيامًا، فخرج إلينا رسول الله ﷺ، فلما قام في مُصلاه ذكر أنه جُنُبٌ فقال لنا: مكانكم، فرجع فاغتسل ثم خرج إلينا ورأسُه يَقطُر فكبرَ فصلينا معه**».

وروى مالك في« الموطأ » أن عمر بن الخطاب ﷺ صلى بالناس الصُّبح، ثم غدا إلى أرضه بالجُرف فوجد في ثوبه احتلامًا فقال: إنا لما أصبنا الوَدَك لانت العروق، فاغتسل وغَسَلَ الاحتلام من ثوبه وأعاد صلاته.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيها من العلم والحكمة. أقول قولي هذا وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

من الغُسل من الجنابة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ما ترك شيئًا إلا دلتا عليه، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الحديث عن الغسل لابد أن يَتطرقَ فيه إلى أمرين:

الأول: أن الغُسل عبادة، وكل عبادة لابدَّ فيها من نيَّة «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى**»، فإذا أراد الإنسان أن يغتسل فلابد أن ينوي بغسله رفعَ الحدث الأكبر إذا كان على

جنابة، أو رفعَ الحدث الأصغر إذا كان محدثًا. فمن اغتسل غُسلاً مُباحًا كغسل النظافة والتَّبَرُّدِ ولم ينوِ رفع الحدث في ابتداء غُسله ثم أراد الصلاة فلابد أن يتوضأ.

الأمر الثاني عباد الله: أن هذا الغسل الذي يتجدد على المرء يذكرنا بنعمة عظمى من الله بها على عباده وهي نعمة الماء الطهور ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾ [الفرقان: ٤٨]، ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٠]. أنـزل الماءَ ليكون ريًّا للظمآن وإنباتًا للزرع وإدرارًا للضرع وتطهيرًا للأبدان وجمالاً للمنظر، ألم تروا أن البلدَ إذا أجدب من المطر والغيث ذهب عنه نوره وبهاؤه.

إن الغسل الشرعي – عباد الله – لم يكن ولن يكون بابًا من أبواب الإسراف في الماء، فلقد كان ﷺ يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد، وكان أوفر الناس شعرًا. يقول سفينة ﵁: «**كان رسول الله ﷺ يُغَسِّله الصاعُ من الماء من الجنابة ويوضئه المدُّ**». رواه مسلم. وسأل قوم جابرًا ﵁ عن الغسل فقال: يكفيك صاع. فقال رجل: ما يكفيني. فقال جابر: كان يكفي من هو أكثر شعرًا منك وخير منك. يعني النبي ﷺ. متفق عليه.

عباد الله: يقول ﷺ: «**لا يَبُولنَّ أحدكم في الماء الدائمِ ثم يَغتسلُ فيه**». كل هذا محافظةً على الماء من الضياع والإسراف.

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب يسأله عما يكفي الإنسان من غُسل الجنابة؟ فقال سعيد: إن لي تورًا يسعُ مُدين من ماء، فأغتسل

به ويكفيني ويَفضل منه فضل. فقال الرجل: فـــوالله إني لأســـتنثر وأتمضمض بمدين من ماء. فقال سعيد: فبم تأمرني إن كان الشيطان يلعب بك؟

ويقول إبراهيم بن أدهم: إن أول ما يبتدئ الوسواس من قبـــل الطهور. ويُقال: من قلة فقه الرجل وُلُوعه بالماء.

فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا لهذا الماء قدره، فـــإن الله يقـــول: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّـــا عَلَـــى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

اللهم صل على محمد وعلى آله محمد...



الاستخـــارة
أحكـــــام وآداب

الحمدُ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بـــالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل لـــه ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاعلموا عباد الله أن خير الوصايا الوصية بتقوى الله. فاتقوا الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

عباد الله: إن من المُسلَّمات عند الناس قاطبةً أن الإنسان مخلوق ضعيف مُحتاج إلى غيره، لا يُمكن أن يُصرِّف أمور حياته وحـــده بدون مُوجِّه أو ناصح، ولابدَّ له إذن مـــن مَعونـــة أو مَشـــورة أو مُناصحة، والحياة – عباد الله – مليئةٌ بالمتغيرات والأمور المحـــيرة، يقف المرء حيالها في حيرة فيما يُقدم عليه، تتعارض عنـــده أمـــور فيمضي أيامًا وليالي وهو مُنشغل الفكر، مُنزعج الخاطر، إلى أيـــن يذهب وإلى أي اتجاه يمضي.

أيها الناس: لقد كان أهل الجاهلية يلجؤون إلى أمور هي أقصى ما وصل إليه علمهم، وما زادهم إلا غيًا وضلالاً، فبعضهم يَستقسمُ بالأزلام، فعلى أي وجه خرجت فَعَلَ، وآخرون يزجرون الغـــراب ويتشاءمون به، وبئس من كان الغراب له دليلاً.

فلما جاء الله بالإسلام الذي ما ترك أمرًا من أمور النـــاس إلا حلَّها، ولا نازلةً إلا فكَّها، فكان فيه الحلُّ لمثل هذه الأمور: جعـــل الإسلام من حق المسلم على المسلم النصيحة، يقـــول ﷺ: «**حـــقُّ المسلم على المسلم ســـتٌّ: وإذا استنصـــحك فانصـــحه**»، وفي البخاري: «**وإذا استنصحَ أحدَكم أخاه فلينصح له**»، وفي مسلم: جعل الرسول ﷺ الدينَ هو النصيحة فقال: «**الـــدين النصـــيحة- ثلاثًا**».

ولقد كان ﷺ إذا حَزَبه أمر فَزِع إلى الصـــلاة ليجـــد فيهـــا الاطمئنانَ والراحة؛ لأنها علاقةٌ مع الله وحده، ينقطع المرءُ فيها عن المنغِّصات والمكدِّرات، ولقد كان ﷺ يقول لمؤذنه: «**أَرِحْنَا بالصلاة يا بلال**».

أيها الناس: إن مما الله جعله ملجًأ للمؤمن إذا حزبه أمـــر، و لم يتبين فيه أن يلجأ إلى الصلاة، صلاةً ليست فريضةً ولا راتبةً، بـــل هي متعلقة بسببها متى ما وُجِد وُجِدتْ، ليس لها وقت وليس لهـــا عدد، إنها صلاة تسمى بصلاة الاستخارة.

عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاســـتخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القـــرآن، يقـــول: «**إذا هـــمَّ أحدُكم بالأمر فليركعْ ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللـــهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنـــت عـــلام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – ثم يُسميه باسمه – خيرٌ لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري – أو قال: عاجل**

أمري وآجله – فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، اللــــهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصـــرفني عنـــه واقدر لي الخير حيث كان، ثم رَضِّنِي بـــه». قـــال: «ويُسَـــمِّي حاجته».

هذا الحديث رواه الإمام البخاري، وأصحاب السنن الأربعـــة، ورواه الإمام أحمد.

عباد الله: يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: عوَّض رسول الله ﷺ أمته بهذا الدعاء عما كان عليه أهل الجاهلية: مـــن زجـــر الطـــير الاستقسام بالأزلام، الذي نظيره هذه القرعة، التي كـــان يفعلـــها إخوان المشركين يطلبون بها عِلْم ما قُسِمَ لهم في الغيب، عوَّضـــهم بهذا الدعاء الذي هو توحيدٌ وافتقارٌ، وعبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحســـنات إلا هـــو، ولا يصـــرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبيده رحمةً لم يستطع أحدٌ حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطعْ أحد إرسالها إليه، من التطير والتنجيم واختيار الطالع ونحوه، فهذا الدعاء هو الطالع الميمونُ السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق، الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لا طـــالع أهل الشرك والشقاء والخذلان، الذين يجعلون مع الله إلهًـــا آخـــر، فتَضمن هذا الدعاءُ الإقرار بوجود الله سبحانه، والإقرار بصـــفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة وتفـــويض الأمـــر إليـــه والاستعانة به والتوكل عليه، والخروج من عُهدة نفسه والتَّبَري من الحول والقوة إلا به سبحانه، واعترافِ العبد بعجزه عـــن علمـــه

بمصلحة نفسه، وقُدرته عليها وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليِّه وفاطره وإلهه الحق. اهـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عباد الله: لقد كان ﷺ يعلم أصحابه ﷺ هذه الصلاة وهذا الدعاء، كما يعلمهم سورة من القرآن، وما كان ذلك إلا لعِلمه بحاجتهم لمثل هذا الدعاء، فكما أن القرآن يحتاج إلى مدارسة ومُتابعة ومُجاهدة فكذلك هذا الأمر، أو كما أن القرآن لا يستغني عنه المؤمن فكذلك دعاء الاستخارة يحتاجه المرء في أموره كلها.

عباد الله: من أحكام هذه الصلاة أن المرءَ يستخير في كل أمر من أمور حياته المباحة، دون الواجبة والمندوبة والمحرمة والمكروهة.

يقول ابن أبي جمرة رحمه الله: الاستخارة في الأمور المباحة، وفي المستحبات إذا تعارضا في البدء بأحدهما، أما الواجبات وأصل المستحبات والمحرمات والمكروهات كل ذلك لا يُستخار فيه. اهـ.

والأمور المباحة كثيرة مثل السفر والعمارة واختيار الزوجة والتجارة ونحوها، وليس منها الأمور المعتادة كالأكل والنوم، فهذا عبثٌ، جاء في بعض روايات الحديث من حديث أبي أيوب أن رسول الله ﷺ قال: «**اكتُم الخطبة – يعني النكاح – ثم توضأ فأحسنْ وضُوؤك ثُمَّ صَلِّ ما كُتِبَ لك، ثم احمد ربك ومَجِّده،**

ثم قل: اللهم... الدعاء السابق». رواه الطبراني، وصححه ابن حبان والحاكم.

عباد الله: لم يعين رسول الله ﷺ لصلاة الاستخارة وقتًا معينًا، فذهب جَمْعٌ من أهل العلم إلى جوازها كل وقت، إلا أن الأكثرين على أنها لا تفعل في أوقات النهي.

الأولى: أن يكون دعاء الاستخارة بعد صلاة ركعتين خاصتين به، لكن لا مانع من أن تكون بعد أي نافلة إذا دخلها ناويًا لذلك بقول النووي رحمه الله: لو دعا بهذا الدعاء بعد راتبة الظهر مثلاً أو غيرها من النوافل الراتبة والمطلقة سواءً اقتصر على ركعتين أو أكثر جاز، لكن بشرط أن يدخل الصلاة وفي نيته أن يستخير بعدها.

ويقول الشعراني في شرحه للأذكار: دعاء الاستخارة له ثلاث حالات: الأولى: أن يقوله بعد صلاته ركعتين بنية الاستخارة. والثانية: أن يكون في موضع لا يستطيع معه الصلاة، فله أن يقول هذا الدعاء وحده. والحالة الثالثة: أن يقول هذا الدعاء بعد أي صلاة نافلة إذا نواه ابتداء.

عباد الله: يقول ابن أبي جمرة رحمه الله: الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء في صلاة الاستخارة أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك ولا أنجح من الصلاة؛ لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه، والافتقار إليه مآلاً وحالاً.اهـ.

عباد الله: إن خير العمل وأصوبه ما كان موافقًا لفعل الرسول

ﷺ، فاعلموا أنه لم يرد في صلاة الاستخارة قراءة آيات معينة، كما أن تكرار صلاة الاستخارة غير ثابت عنه ﷺ، بل قال الحافظ العراقي عنه: الحديث ساقط لا حجة فيه.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيها من البرهان والحكمة. أقول هذا القول إن صوابًا فمن الله، وإن خطأ فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إن ربي غفور رحيم.

❋ ❋

الخطبة الثانية

من الاستخارة أحكام وآداب

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبي الهدى وإمام الورى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فالتقوى هي أولى صفات المؤمنين، فاتقوا الله قولاً وعملاً.

أيها الناس: روى الإمام أحمد وحسن إسناده ابن حجر عن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سعادة ابن آدم استخارته الله**».

ويقول بعضهم: ما خاب من استخار، وما ندم من استشار.

ويقال: من أعطي أربعًا لم يمنع أربعًا: من أعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أُعطي المشورة لم يمنع الصواب.

عباد الله: الاستخارة دليل على تعلق قلب المؤمن بالله في سائر أحواله، الاستخارة تَرفعُ الروح المعنوية للمستخير، فتجعله واثقًا من نصر الله له، في الاستخارة -عباد الله – تعظيمٌ لله وثناءٌ عليه، فالاستخارة مَخرج من الحيرة والشك، وهي مدعاةٌ للطمأنينة، وراحةٌ للبال، في الاستخارة امتثال للسنة النبوية وتطبيق لها.

عباد الله: إذا صلى الإنسانُ هذه الصلاة ودعا بعدها بهذا الدعاء فليمض لما بدا له.

يقول ابن الزملكاني رحمه الله: إذا صلي الإنسانُ ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له سواءٌ انشرحت نفسه له أم لا، على اشتراط انشراح النفس. اهـ.

إلا أن بعض الناس أحدثوا أمورًا جعلوها علامة على الاختيار بعد الاستخارة من منامات وغيرها.

يقول صاحب المدخل: على المرء أن يحذرَ مما يفعله بعض الناس ممن لا عِلم عنده، أو عنده علم، وليس عنده معرفة بحكمة الشرع الشريف في ألفاظه الجامعة للأسرار العلية؛ لأن بعضهم يختارون لأنفسهم استخارة غير الواردة، وهذا فيه ما فيه من اختيار المرء لنفسه غير ما اختاره له من هو أرحم به وأشفق عليه من نفسه ووالديه، العالم بمصالح الأمور المرشد لما فيه الخير والنجاح والفلاح،

صلوات الله وسلامه عليه، وبعضهم يستخير الاستخارة الشـــرعية ويتوقف بعدها حتى يرى منامًا يُفهم منه فعل ما استخار فيـــه، أو تركه أو يراه غيره، وهذا ليس بشيء؛ لأن صاحب العصمة ﷺ أمر بالاستخارة والاستشارة لا بما يرى في المنام، ولا يُضيف إليها شيئًا، ويا سبحان الله!! إن صاحب الشرع قد اختار لنا ألفاظًـــا منتقـــاة جامعة لخيري الدنيا والآخرة حتى إن الراوي قال في صفتها والحضِّ عليها والتمسك بألفاظها «**كان يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يُعلمنا السورة من القرآن**» ومعلوم أن القرآن لا يجـــوز أن يُغير أو يُزاد فيه أو يُنقص منه. اهـــ.

عباد الله: إن مما يقال هنا: أن الأفضل أن يَجمع بين الاستخارة والاستشارة، فإن ذلك من كمال الامتثـــال بالســـنة، يقـــول الله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْـــأَمْرِ فَـــإِذَا عَزَمْـــتَ فَتَوَكَّـــلْ عَلَـــى اللَّـــهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول أحد السلف: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيـــه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفـــذُّ ربمـــا زلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ.

ثم اعلموا عباد الله أن من خير الأعمال في هذا اليوم الصـــلاة على نبيكم محمد، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

* * *

حلاوةُ الإيمانِ
«ثلاثٌ من كُنَّ فيه...»

الحمد لله ﴿الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، سبحانه جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس فإنها خيرُ الوصية، في كل وقت وفي كل حال، «**اتقِ الله حيثما كنتَ**»، ليس هناك شيء أفضلَ من الوصية بالتقوى، إن تقوى الله تُورثُ المرءَ في الدنيا انشراحًا وانبساطًا وفي الآخرة فوزًا وسرورًا ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

عباد الله: انظروا إلى الشمس كلَّ يوم تَطلعُ من مَشرقها ثم تَغيبُ في مغربها، وفي ذلك أعظم العبرة، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

إن طلوعَ الشمسِ ثم غيابها مؤذنٌ بأن هذه الدنيا ليست بـــدار قرارٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غيابٌ ثم زوالٌ، ألم تروا هذه الشهورَ تهلُّ فيها الأهلةُ صغيرةً كما يُولد الطلُّ صغيرًا، ثم تنمو رويـــدًا كنمـــو الأجسامِ، حتى إذا تكاملَ نموها واشتدت قوَّتها، وكـــبرَ جســـمها، بدأتْ النقصَ إلى الاضمحلالِ، وهكذا عمرُ الإنسان سواءٌ بسواء، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُـــمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

عباد الله: مضى عامٌ وبدأ عامٌ، والأيام تُطوى والأعمارُ تُقضى كلها في حساب أعمالنا، يبدأ العام وينظر أحدُنا إلى آخـــره نظـــرَ البعيد، ثم تمرُّ الأيام عَجْلى، فينتهي العام كلمح البصرِ، فإذا هـــو في آخره، وهكذا عمرُ الإنسان يتطلع إلى آخره تَطَّلعَ البعيد وما يدري إلا وقد هجم عليه الموتُ.

أيها الناس: إن في مرورِ الأيامِ وتصرمِ الأعوامِ عِبَـــرٌ يجـــبُ أن تكون عظةً للمتعظين كما أن العام تكون فيه مُثُلٌ كريمـــة تبـــدو واضحةً من مناهج الصالحين في دروس رسموها ومناهجَ ســـلكوها ليصلوا بها إلى الغاية الكريمةِ من رضوان الله وكريمِ ثوابه.

عباد الله: أما العبرُ التي تُوجبُ عند المرء اعتبارًا فلا يحويها بيانٌ ولا تقعُ في حدود، كم من نكبات للمسلمين وقعـــتْ، حـــروبٌ طاحنةٌ، وقتلٌ وتشريدٌ، وانتهاكٌ للحقوق وهضمٌ للكرامات وإماتـــةٌ للفضيلة، كم مر بالأسماع – أيها الناس – خلال العامِ المنصرم من

أخبار لزلازلَ عنيفةٍ وفيضانات جامحةٍ مروعة، كلها مشعرةٌ بعجز المخلوق وافتقاره إلى رحمة الخالق العظيم القادر، كم مر بالأسماع – عباد الله – من ظروف حرجةٍ مرت بها الأمة الإسلامية كانت مختبرًا لصدقِ الإيمان وقوةِ العقيدة.

ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كلٌّ عامٍ تُرذلون.

يقول ابن كثير: وهذا الكلام وإن كان لعائشة إلا أنه صحيحٌ واقعٌ يشهد له حديث الرسول ﷺ: «**لا يأتي زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه إلى أن تقومَ الساعةُ**».

يمر بالناس كل عام ما يشهد لقول الله سبحانه: ﴿**أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٦].

يمر بالناس كل عام ما يشهد لقول الرسول ﷺ الذي رواه البخاري عن مرداس الأسلمي قال: قال رسول الله: «**يذهبُ الصالحون الأولَ فالأولَ، ويبقى حفالةٌ كحفالة الشعير أو التمر لا يعبأ الله بهم**».

عباد الله: أشد الناس حرصًا على تتَبَع أيام العام وانتظارها يومًا بعد يوم هو المزارعُ، يعيش كل عام حياةً عجيبةً، يحرث ثم يزرع ثم يهتم ويرعى ثم يحصدُ، وما ألذَّها من ساعة تلك الساعةُ التي يحصد فيها ما زرع، وهكذا الواجبُ على المسلم أن تكون حياته كلَّها ميدانُ عمل لا يضيعُ منها ساعةً أو لحظةً.

إن أشد ما يحرص عليه بنو آدم الاهتمام بصحتهم وسلامتهم،

في الشتاء يُدفئونها ويَحمونها عن البرد وشدته، وفي الصيف يُراعون أجسامهم حتى لا تتأثرَ بحرارة الشمس، وهم فيها بين ذلك يمشون مع رغبات أنفسهم، لكن أفلا يكون لقلوبهم مِقياسٌ يقيسون به قوةَ إيمانهم ليعرفوا به زيادته من نقصه.

عباد الله: إن فيما أُثر عن الرسول ﷺ حديثٌ هو كالمعيار لإيمان المرء يقيسُ به مقدار الإيمان في قلبه، روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد بهن حَلاوة الإيمان**...». نعم للإيمان حلاوةٌ وطعمٌ، حلاوة تجعل المؤمنَ دائمًا في سعيٍ لما يُرضي الله سبحانه وسعيٍ دائمٍ في الابتعاد عما يُسخطه، حلاوةُ الإيمان التي منعت ذلك الرجلَ من مواقعةِ الحرام فنال ما نال.،

جاء في الحديث الصحيح: «**سبعةٌ يُظلهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظلهُ... وذكر منهم: رجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخافُ الله**».

حلاوة الإيمان - عباد الله — هي التي ذكرها الرسول ﷺ لخبَّاب حينما طلب منه أن يدعو الله أن يكشف عنهم أذى الكفار، فقال ﷺ: «**إن كان الرجلُ ممن كان قبلكم يُنشر بالمنشار ما بين جلدِه وعظمِه ما يرده ذلك عن دينه**».

حلاوة الإيمان هي التي تكون سلاحًا للمؤمن خلالَ أيامه ضدَّ المغريات والشهوات والشبهات.

الخِصلة الأولى عباد الله: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما

سواهما، إن العبادةَ الحقيقة هي التي تجعلُ علاقةَ العابد مع المعبـــود فوقَ كلِّ شيء، جاء عمر بن الخطاب ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، والله إني لأُحبُّك أكثرَ من كل شيء إلا من نفســـي. فقال: «**لا يا عمر، حتى من نفسك**». فقال عمر: والله إني لأُحبك أكثر من كل شيء حتى من نفسي. فقال ﷺ: «**الآن يا عمر**».

هذه المحبة التي متى ما خلتْ منها قلوب الناس فـــإن الله قـــد توعَّدهم بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤].

عباد الله: ما منكم أحد إلا وهو يقول: أنا أحب الله ورسوله، ولكن المصيبةَ أيها الناس أن مثل ذلك لا يكفي، فـــلا يكفـــي أن تكون محبًا، بل لابد أن تكون محبوبًا.

روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله سبحانه: ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـــه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر بـــه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

ولقد جاء في حديث آخر عند البخاري: «**إذا أحبَّ الله عبدًا**

نادى جبريل: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبوه، فيُحبه جبريل، ويُنادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فيُحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض» فطوبى لعبد نال هذه المنزلة.

أيها الناس: لابد للمرء في حياته من تعامل مع الآخرين، وحُبِّ الناس بعضهم لبعض إما لدنيا أو وظيفة أو مكانة، ولكن قاعدة عظيمة بناها لنا رسول الله ﷺ في التعامل مع الناس في جميع حياتنا وهي الخصلة الثانية في الحديث: «**إن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله**». نعم أيها الناس، لو بنينا معاملاتنا وتعاملنا مع الناس على قاعدة الحب لله والبغض في الله لم نجد غِشًا ولا حسدًا ولم نر ظُلمًا ولا اضطهادًا، إننا متى ما جعلنا الدنيا هي أساس علاقتنا فإنما نبني على جُرف هار ما أسرع ما يسقط، ولهذا وجدنا أصدقاء في الرخاء بعُداء في الشدة.

إن المحبة في الله هي التي تُنزل المرء منازل رفيعة، جاء في ذلك الحديث السابق في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «**ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه**».

جاء في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**خرج رجل يزور أخًا له في الله في قرية أخرى، فأرصدَ الله بمَدرجته ملكًا، فلما مر به قال: أين تريد؟ قال: أريد فلانًا، قال: لقرابة؟ قال: لا، قال: فلنعمة له عندك تربُّها (يعني تردها إليه)؟ قال: لا، قال: فَلِمَ تَأته؟ قال: إني أحبه في الله. قال: فإني رسول الله إليك أن الله يحبك بحبك إياه**».

أترون شخصًا جعل مثل هذه المحبة مقياسًا له في معاملته يرضى لأخيه بنقص، أو ظلم، أو تظنونه يتكلم في عِرض أخيه، أم تحسبونه سيؤذيه.

جاء في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله**»، وروى الإمام أحمد والطبراني بأسانيد صحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «**أيها الناس، اسمعوا واعقِلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداءَ يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله**»، **فجثا رجل من الأعراب من قاصية القوم وألوى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم، انعتهم لنا يا رسول الله، فسر وجه رسول الله ﷺ بسؤاله فقال**: «**هم أناس من بُلدان شتىً ومن نوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة. تحابوا في الله وتصافَوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورًا وثيابهم نورًا، يَفزع الناس ولا يَفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**».

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعنا بما فيها من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

❋ ❋

الخطبة الثانية

من حلاوة الإيمان

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، يطلبُ القليلَ ويكافئ بالكثير، يتفضلُ على عباده وهو الغنيُّ الحميدُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَّه لا شريكَ له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناسُ، إن جميعَ المخلوقات مهما بلغوا من القوةِ والصلابةِ فإنهم مُجمِعون على الخوف من النَّار، بل إن أحدًا قد يصبرُ على أنواعٍ من العذاب إلا أن يعذبَ بالنارِ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

إن الخوفَ من النَّار أمرٌ مفطورٌ عليه ابن آدمَ، وقد رَسَّخَ هذه القاعدةَ رسول الله ﷺ في الخِصلة الثالثة، فقال: «وأن يكرَه أن يعودَ في الكفرِ بعد إذْ أنقذه الله منه كما يكرَه أن يقذفَ في النارِ».

عباد الله: كما يكره المرءُ النارَ ويبغضها ويَخافُ منها، ينبغي أن يكره المعصيةَ والرذيلةَ والكفرَ بالله، كما تخافُ من النار خَف من الوقوع في المعصيةِ، ميزانٌ دقيقٌ وحكمٌ عدلٌ لو استشعره كلُّ امرئ مقدم على معصية لما وقع فيها.

انظروا عباد الله إلى ذلك الحديثِ المعروف الدائرِ على الألسنة: **«من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيده، فإن لم يَستطعْ فبلسانه، فإن**

لم يستطعْ فبقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمانِ حبةُ خـــردل». إنَّ القلبَ الذي لا يجد تَنكُّرًا للمعصيةِ خلاله عديمٌ مـــن الإيمـــان ولا يجتمعُ حبُّ المعصيةِ والإيمانِ أبدًا.

بنو إسرائيل كانوا إذا فعل أحدهم المنكرَ قالوا: يا عبد الله، اتق الله ودعْ ما تصنع، فإذا جاء من الغدِ لم يمنعهم ذلك أن يكونَ هذا العاصي أَكيلَهم وجليسَهم، فلما فعلوا ذلك ضـــرب الله قلـــوبَ بعضهم ببعض ولعنهم ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَـــى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨].

إن الناس – عباد الله – متى ما استهانوا بهذه القاعـــدةِ وهـــي كراهيةُ المعصيةِ وكراهيةُ أهلها؛ متى ما استهانوا بذلك فلا علـــيهم من الله أن يعاقبَهم بما أراد، وإنك لتعجبُ من تعوُّدِ النـــاس علـــى الجلوس مع أصحاب معاصٍ ومنكرات كنَّا في سالفِ الزمن نَعـــد الجلوسَ معهم من أكبرِ المعاصي، ومن جالسهم فهو منهم، وما وقع ذلك إلا لما انتُزعَت هذه القاعدة من القلوب.

عباد الله: هذا الحديثُ مقياسُ الإيمان في قلب كلِّ مؤمن فلينظرْ كل ما قوة إيمانه.

اللهم صل على محمد...

* * *

الفهرس

